في اليوم العالمي للكتاب.. الكتب تخرج إلى الشارع

مكتبة في سفح جبل نقم «1-2»

هشام علي

ضاقت الشقة التي أسكنها بما فيها من كتب ومجلات وصحف وأوراق فالغرفة التي اخترتها لتكون مكتبة وكانت أوسع غرفة في البيت لم تعد تتسع لما تراكم فيها من كتب رغم المحاولات المتكررة للترتيب وإعادة الترتيب.
وقد بلغ الأمر إلى حد وضع الكتب في صناديق أو كراتين كبيرة وإغلاقها إلى حين ميسرة وربما لا يأتي ذلك الحين ولكني أؤمن أن مع العسر يسرا وأن زمناً قادماً سوف تخرج فيه الكتب من مخابئها وتحتل واجهات غرفة واسعة في البيت تكون بحق مكتبة ليست مخزنا للكتب المكدسة.
وفي انتظار ذلك الفرج الآتي قدرت أن أنقل مكتبتي إلى مكان آخر كنت أحلم بشقة أخرى صغيرة لكنه حلم لم يتحقق نظرا لصعوبة دفع إيجار شقتين قد تكلفان أكثر من نصف المرتب وقد وصلت بعد طول بحث وعناء إلى غرفة صغيرة عند سفح جبل نقم كان إيجارها مناسبا وقد راعيت إلا تكون في مجرى السيول الهابطة من أعلى الجبل حتى لا تأخذ في طريقها الكتب التي جمعتها طوال العمر منذ أول حرف وأول تجربة في القراءة ورغم هذه الاحتياطات في الاختيار فإن الأمر لا يخلو من مجازفة فالسيول في اليمن مثل كل شيء فيها لا تخضع لأي قانون ولا تلتزم بأي مسار إذ غالبا ما تحطم الوديان السدود وتقفز خارج خارطة الطريق التي رسمتها في مرات سابقة تشن نفسها طريقاً آخر وغالبا ما تأخذ في ثورة التغيير هذه قرى وبيوتا وتقتلع أشجارا وتغرق حقولا ووديان، هذه هي الطبيعة اليمنية، جارفة طاردة في جميع حالاتها، ولذا لم أجد أمامي اختيارا آخر فلا بد مما ليس منه بد. لقد ضاقت بنا الشقة وبالكتب أيضا ولا بد لأي منا أن يغادر المكان.

ضاق المكان وضاقت الرؤيا والمخيلة لم تعد فسحة الصوفي العربي" النفري" قادرة على اختراق ذلك الحيز الضيق في المكان وفي المخيلة لم تعد الرؤيا تتسع إذا
ضاقت العبارة على نحو ما كان يقول النفري في صوفيته الافتراضية فالشقة صغيرة وضيقة مثل " علبة الكبريت" هكذا يصف رولان بارت, الناقد البنيوي الشهيري, نظام الشقق الحديثة في باريس كيف يكون الحالة في شقة صغيرة في أطراف صنعاء!!
ربما تكون علبة كبريت أيضا ولكن كبريت مشتعل إن ضيق المكان يورث ضيقا في النفس وعسراً في العيش. وغالبا ما تكون غرفة المكتبة مصدراً للقلق ومبعثا لضيق الحلية والحال!
هكذا أخذت قراراً صعباً في هذه الأزمنة الصعبة، تخرج المكتبة من البيت, بعد أن كانت ركناً أساسيا في بنيانه, قرار صعب لكنه ليس استثنائيان نحن في زمن ملتبس وغرائبي أصبح ماهو استثنائي موازيا للقاعدة ومنافسا لها, حسب ما يظهر في دائرة الطباشير.
لم يكن تنفيذ هذا القرار هيناً لقد احتاج إلى وقت طويل من التفكير والتأمل والمعاناة كنت أدخل غرفة المكتبة أو ما كانت مكتبة، في كل مساء لم تعد مكتبة بل هي مخزن مكتظ بالكتب المتراكمة والكراتين المكدسة والملفات المتناثرة في كل انحاء الغرفة الفوض البارزة من كل زوايا الغرفة مخترقة النظام المتراجع إلى الخلف حيث تظهر ملامح رفوف متهالكة امتلأت بالكتب وفاضت حتى قذفتها إلى أرضية الغرفة هكذا تراكمت أبراج من الكتب وأهرام من الملفات والأوراق لم تترك أية ممرات بينها، وأصبح البحث عن الكتب أو مجلة يحتاج إلى لاعب أكروبات ماهر، يجيد القفز والحركة فوق تلك الكتب المتراكمة.
هذه الفوضى غير الخلاقة بطبيعة الحال أقنعتني بضرورة خروج المكتبة من البيت على موعد آخر للقائها وإعادة ترتيبها، في مكان أجمل وفي زمن أجمل زمن يستعيد فيه الكتاب بهاءه ويحتل الصدارة في البيت.
بدأت الإجراءات العملية لنقل الكتب بعد أن استأجرت تلك الغرفة القابعة في سفح الجبل وبعد أن أقنعت نفسي وأقنعت كتبي أيضا بأنها مرحلة انتقالية مؤقتة ومزمنة لقد أصبحنا نعيش في مرحلة انتقالية ومزمنة المجتمع والدولة والحكومة والناس مكتبتي أيضا ينبغي أن تعيش المرحلة، وتخوض

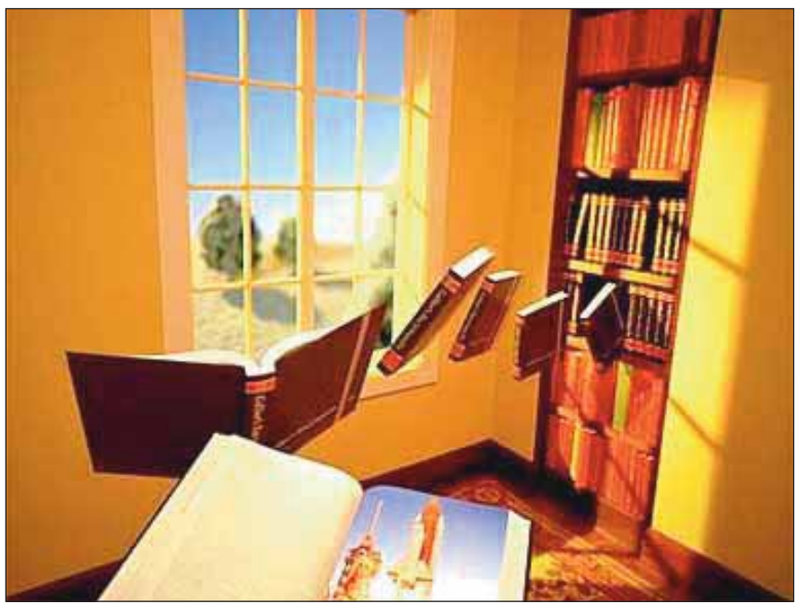

التجربة . الكتب هي حافظة تاريخ المجتمع، فليكن إذن! لتخرج الكتب من المكتبة والمخزن بحثا عن الأفضل والأجمل ولا بأس من انتظار ذلك الآتي المحمل بالبشارة ولكن المهم أن يأتي حتى لا يكون انتظار الجودو الذي يأتي ولا يأتي كما في مسرحية بيكيت " في انتظار جودو" العشية.
ليس ثمة داع لليأس أو العبث يجب على هذه الكتب المتراكمة منذ أكثر من ثلاثين عاما أن ترحل ولكن لماذا؟
إن المكتبة لا تخضع لنظام الإزاحة والتغيير، وعادة ما تستدعي الرفوف الفارغة مزيداً من الكتب، كل مكتبة هي كيان ناقص مشروع لم يكتمل، وربما أنه لا يكتمل أبدا "ألم يكن حلم بورخيس الكاتب الأرجنتيني الأعمى، حسب رواية البرتو ما نفريل" أنشأ مكتبة لا متناهية لكل الكتب المحتمل وجودها، حاول أن يجمع انسيدكلو بيديا كونية مكتملة، حيث لا شيء في العالم سيكون مقصياً عنها في النهاية فشل في مسعاه، لكن ليس بشكل كلي، في المساء الذي تخلى فيه عن مشروعه العظيم، استأجر حصاناً وعربة صغيرة بمقعد واحد، وقام بجولة في المدينة، إنه يرى جدراناً قرميدية، أناساً عاديين، منازل، نهراً، سوقاً، ويشعر، بطريقة ما، أن كل هذه الأشياء هي من صميم عمله، إنه يدرك أن مشروعه لم يكن مستحيلاً، لكنه وافر فحسب، انسيكلوبيديا العالم والمكتبة الكونية موجودتان وهما العالم نفسه.
المكتبة الكونية التي تجمع كل الكتب، مكتبة متخيلة في ذهن بورخيس، وردت قبل أن تظهر مكتبة جوجل بشبكتها اللا متناهية، ولكن هذه المكتبة المتخيلة لم تكن إلا العالم نفسه، لقد خرجت الكتب من مكتبة بورخيس الكونية لتسير في شوارع المدينة، حيث قابل بورخيس حلمه حياً نابضاً يمشي في الطرقات.
الكتاب هو العالم نفسه، كما يقول بول فاليري، إنه إضافة إلى العالم، مشاركة في مصير المجتمعات التي هو جزء منها القلق الذي انتابني وأنا أنبش الكتب من رفوفها، وأخرج تلك المحفوظة في الصناديق، كان السؤال عن مصير هذه الكتب، ولكن ألم نقل سابقاً أن عمل الكتب أن تشارك في مصير مجتمعاتها.
ها هي مكتبتي على بعد شارعين من فندق الموفمبيك، حيث جرت فيه جلسات مؤتمر الحوار الوطني الشامل، الذي بحث واقع ومستقبل اليمن ومصير العملية الانتقالية.
وقفت متأملاً كتبي المتناثرة في كل مكان من الغرفة الصغيرة، تنتظر مصير العملية الانتقالية التي تخصها، انتظار بيت أوسع وترتيب أجمل وأفضل للبيت وللمكتبة أيضاً.. سرحت بي التأملات بعيداً، فالمكتبة ليست مكاناً للنظام والفوضى وحسب أنها مكان للمصادفة أيضاً، وهذه المصائر المتقابلة، دفعت بمخيلتي في اتجاه آخر، ثار سؤال في خاطري ماذا لو خرجت هذه الكتب في الليل وانتشر مؤلفوها وأبطال الروايات والقصص والسارد الغائب في بعض منها أو الشخصيات الأسطورية في بعضها، ماذا لو خرج كل هؤلاء من بين ضفتي كل كتاب وأصبحوا يتحركون في الشوارع والطرقات كان فندق موفمبيك أكبر معلم مداري واقعي بواجبهم على بعد أمتار قليلة.. لم أترك العنان للمخيلة حتى تبلغ مداها، أو لنقل إن حراسات فندق موفمبيك حاصرت تلك الشخصيات الخارجة من صفحات الكتب ومن أعماق التاريخ، لقد منعت "همك" من الدخول إلى فناء الفندق، باحثاً عن ثأر أبيه، وتصدت للأخوة الأعداء الخارجين من رائعة دوستويفسكي والراغبين في الدخول إلى قائمة الحوار، كما كان طيف البطل في "الجريمة والعقاب".
يحلق فوق رؤوس المتحاورين اليمنيين مذكراً بجرائم ممتدة منذ صبيحة الثورة الجمهورية وبدون أي عقاب حتى اليوم.
ارتصت صفوف طويلة من الكتب والكتاب فوق جسر موفمبيك ,مفكرون مناضلون أدباء طليعيون الجميع ينظر إلى ذلك الفندق الذي اتخذ شكل قلعة منيعة ،
وينتظرون نتائج ذلك الحوار الفريد من بين قوى مختلفة من بين صفوف الانتظار يمكن صف من المثقفين والسياسيين والأدباء اليمنيين من اختراق البوابات والوصول إلى قاعة الرئيسية للحوار تلك كانت وثائق اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ومجلتهم الرائدة الحكمة وقادة الاتحاد يتقدمهم عمر الجاوي وعبدالله البردوني ويوسف الشحاري وعبدالله فاضل وغيرهم من الأدباء الذين رفقوا راية الوحدة وناضلوا من اجل تحقيقها.
هل تتسع قاعة الحوار لهذا الرعيل من المناضلين الوحدويين؟
ليس المكان والكرسي ما اقصد ولكن العقول والنفوس والمرافق التي تنكرت لفكر الوحدة ولهثت وراء مشاريع صغيرة تحمل التفتيت والتشظي والانفصال وغير ذلك من الشعارات ولأهداف التي ترفعها جماعات الحراك الجنوبي وجمعيات الحراك القبلي والمناطقي والطائفي!.

في اليوم العالمي للكتاب وحقوق المؤلف.. مديرة عام اليونسكو :

تاريخ الكلمة المكتوبة هوتاريخ البشرية

احتفلت يوم أمس الأربعاء منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "اليونسكو ومعها المؤسسات والمنظمات الثقافية في العالم ب" يوم 23 أبريل -اليوم العالمي للكتاب وحقوق المؤلف، تحت شعار "تاريخ الكلمة المكتوبة هو تاريخ البشرية . وهو اليوم الذي تم اختياره من قبل ليونسكو كيوم عالمي للاحتفاء بالكتاب وبحقوق المؤلف .
وكان اختيار مؤتمر اليونسكو العام الذي عقد في باريس عام 1995 لهذا التاريخ اختيارًا طبيعيًا، فقد أرادت فيه اليونسكو التعبير عن تقديرها وتقدير العالم أجمع للكتاب والمؤلفين، عن طريق تشجيع القراءة بين الجميع وبشكل خاص بين الشباب وتشجيع استكشاف المتعة من خلال القراءة وتجديد الاحترام للمساهمات التي لا يمكن إلغاؤها لكل الذين مهدوا الطريق للتقدم الاجتماعي والثقافي للإنسانية جمعاء.
وفي رسالتها بمناسبة اليوم العالمي للكتاب وحقوق المؤلف التي وجهتها يوم أمس بهذه المناسبة أكدت إيرينا بوكوفا المديرة العام لليونسكو "إن تاريخ الكلمة المكتوبة هوتاريخ البشرية ".
وقالت أنه ليس هناك ما يضاهي قوة الكتب في النهوض بتحقيق شخصية الفرد وإحداث التغيير الاجتماعي. وتمثل الكتب عنصراً حميمياً، ولكنها تنطوي أيضاً على بعد اجتماعي عميق، فإنها تقدم أشكالاً بعيدة الأثر من الحوار بين الأفراد داخل الجماعات وعبر الزمان.
وبمناسبة اليوم العالمي للكتاب وحقوق المؤلف، دعت إيرينا بوكوفا جميع النساء والرجال إلى الالتفاف حول الكتب وحول الذين يكتبون وينتجون الكتب، فهذا يوم للاحتفال بالكتب بوصفها تجسيداً للإبداع البشري وللرغبة في تبادل الأفكار والمعارف وفي إلهام التفاهم والتسامح.
وأشارت مديرة عام اليونسكو إلى أنه لا توجد لدى الكتب مناعة تحميها من رياح التغيير في العالم، التي تتجسد في ظهور الأشكال الرقمية

والانتقال إلى الترخيص المفتوح لتبادل المعارف، ويؤدي ذلك إلى مزيد من انعدام اليقين إلا أنه يتيح أيضاً فرصة جديدة لاعتماد حلول جديدة منها نماذج الأعمال الابتكارية في عالم النشر.
ويثير التغيير تساؤلات حرجة بشأن تعريف الكتاب ومعنى التأليف في العصر الرقمي، وتضطلع اليونسكو بدور قيادي في طليعة المناقشات الجديدة بشأن الانتقال من الكتب إلى الأشكال غير الورقية وحقوق المؤلفين.
وقالت إيرينا بوكوفا أنه من خلال مناصرة حقوق المؤلف والانتفاع المفتوح، تدافع اليونسكو عن الإبداع والتنوع والمساواة في الانتفاع بالمعارف، وإننا نعمل في جميع المجالات بدءاً بشبكة المدن المبدعة في مجال الأدب وانتهاء بتعزيز محو الأمية والتعلم بالأجهزة المحمولة والمضي قدماً في الانتفاع المفتوح بالمعارف العلمية والموارد التربوية، فعلى سبيل المثال تسعى اليونسكو جاهدة في إطار شراكة مع شركة نوكيا ومنظمة "القارئ العالمي" إلى تسخير تكنولوجيا الأجهزة المحمولة لدعم محو الأمية.

اليونسكو تختار نيجيريا كعاصمة للكتاب

وقد تم اختيار مدينة "بورت هاركورت بنيجيريا كعاصمة للكتاب يوم 23 أبريل كبداية لفترة التنصيب 2014-2015، ووقع الاختيار على مدينة بورت هاركورت من قبل اليونسكو، ورابطة الناشرين الدولية، والاتحاد الدولي للمكتبات والاتحاد الدولي لرابطات ومؤسسات أمناء المكتبات "لجودة جدول أعمالها، وخاصة لاهتمامها بجيل الشباب ودورها في تحسين ثقافة الكتاب، وثقافة القراءة، وثقافة الكتابة والنشر.
كما قررت اليونسكو، بمناسبة هذا اليوم، البدء في نشر" القراءة بالأجهزة المحمولة دراسة تعنى بتقديم الأجهزة المحمولة" الهواتف أو الألواح" كأدواة جديدة لدعم القراءة في العديد من أرجاء العالم، حيث إن الحصول على كتاب عملية مكلفة.

الهوية في الوعي العربي

صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية كتاب ببيروت "الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر".
احتل موضوع الهوية، ولا يزال، حيّزاً واسعاً في الفكر القومي العربي، نظراً إلى ما شهدته قضية الهوية في الوطن العربي من إشكاليات وتحديات فرضها تعدد الانتماءات الإثنية والمذهبية والدينية والجهوية والوطنية ما دون القومية من جهة، والاحتكاك الثقافي المتعدد الأوجه مع الخارج، المتمثّل بالغرب تحديداً، من جهة أخرى.
وفي ظل ما تشهده الأمة العربية من انقسامات وصراعات وتشرذم، وبعد عقود على انكفاء المشروع القومي العربي، وما رافقه من تصاعد للهويات القطرية أو للخصوصيات الإثنية والإقليمية والمذهبية والدينية، وبعد عجز الأنظمة العربية عن تحقيق الحد الأدنى من طموحات شعوبها، يأتي الكلام على قضايا القومية العربية ليحتل مكانة مهمة في هذه المرحلة التاريخية التي تتزايد فيها نسبة الوعي لدى شرائح واسعة من الشعوب العربية بضرورة نيل حقها في انتزاع حريتها وفي تقرير مصيرها وفي إعادة تحديد ملامح هويتها.
يقدم هذا الكتاب قراءة تجديدية نقدية لقضايا الهوية العربية ساهم فيها نخبة من الباحثين والكتاب العرب، وجاءت هذه القراءة في أربعة وعشرين فصلاً حول قضايا الهوية العربية وعلاقتها باللغة والثقافة والتاريخ والواقع الاجتماعي والسياسي والعمراني. تتوزع فصول الكتاب على ثلاثة أقسام يبحث أولها في فلسفة الهوية والانتماء، ويتناول الثاني قضايا الهوية في بعض التجارب القطرية، ثم يتناول الثالث التحولات في هوية العمارة العربية في ظل العولمة. يقع الكتاب في 623 صفحة.